فلسفة العلم؛ نقطة التقاء الحاج صالح وكارل بوبر

Philosophy of science; The meeting point of Hajj Saleh and Karl Popper

محروق ياسين *

د. الشاذلي سعدودي ♣

تاريخ الإرسال: 2022/06/29	تاريخ القبول: 2022/10/13	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

يبحث هذا المقال في نظرة كل من عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر للعلم، فعلى الرغم من كون الأول من رواد البحث اللساني في الجزائر والثاني من رواد علم النفس الإدراكي في إنجلترا، إلا أنّ اعتمادهما على نظرية المعرفة في تقديم كتاباتهما واضح وجلي، بل أكثر من ذلك هو ذلك التقارب الحاصل بينهما كما تبينه هذه الدراسة، فالتأصيل الفلسفي للمعرفة العلمية عند الرجلين هو موضوع هاته الورقة البحثية، وذلك من خلال التعريف بالرجلين ومنطلقاتهما الفكرية، وعرض بعض المفاهيم المتعلقة بالمعرفة، وصولا إلى التوافق الحاصل بينهما في الكثير من القضايا على نحو الشك العلمي، ومصادر المعرفة.

الكلمات المفتاحية: الحاج صالح، كارل بوبر، العلم، فلسفة، نظرية المعرفة.

Abstract:

This article examines Hadj Salah and Karl popper's view of science , Although the first is one of the pioneers of linguistic search in Algeria and the second is a pioneer of cognitive psychology in England However , their reliance on epistemology in presenting their writings is clear and evident rather , it is the convergence between them , as this study shows, The philosophical rooting of knowledge for the two men is the subject of these

* جامعة المدية-الجزائر، مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية.
mahroug.yassine@univ-medea.dz
♣ جامعة المدية - الجزائر saadoudi2005@gmail.com

research papers; Through the definition of them and the research starting points And presenting some concepts related to knowledge Leading to the agreement between them in many issues such as the scientific skepticism and resources of knowledge.

***Key words**: Hadj Salah, Karl popper, science, philosophy, epistemology.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: ياسين محروق yassinemahroug1987@gmail.com

1.مقدمة:

يعد العلم مرتكز الحياة وعَصبها منذ أن عُلِّم آدم الأسماء، وتحديد ما يدخل في هذا العلم من أهم ما أشكل على الإنسان منذ القديم، ربما حتى قبل فلاسفة اليونان، ولذا تعدُّ فلسفة العلم أهمّ مقدمة توضع لضبط أركان هذا المسمى، للفصل بين ما هو علم وما هو "لا علم". فالمعرفة العلمية تقتضي مفاهيماً كانت محل دراسة الباحثين لتقديم علومهم، من هؤلاء نجد عبد الرحمن الحاج صالح –رحمه الله- وكارل بوبر، فقد كانت لهما نظرة خاصة للعلم من خلال تقديمهما لمفاهيم في المعرفة العلمية تكاد تكون واحدة. فالإشكالية المطروحة هنا ما أوجه التقارب بين اللساني عبد الرحمن الحاج صالح والفيلسوف كارل بوبر في فلسفتهما حول نظرية المعرفة؟ فالبحث يهدف إلى تقديم الرجلين، مرجعياتها الفكرية وكذا بعض المفاهيم التي تقاربت عندهما، وفي ذلك نستعين بالمنهج التحليلي من جهة والمنهج المقارن من جهة أخرى، كمنهجين مناسبين لطبيعة المقال، مع إضفاء بعض التاريخية في رصد بعض مراحل إنتاج ما جادا به في حقل المعرفة.

وبالتالي سيكون البحث مقسّماً على ثلاثة خطوط أولها تقديم الرجلين وثانيها تقديم بعض المفاهيم والتعريفات الخاصة بنظرية المعرفة عامة، ثم الحديث عن بعض المفاهيم التي اجتمع فيها الرجلان.

2. عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر:

1.2 عبد الرحمن الحاج صالح (1928-2017):

عبد الرحمن الحاج صالح عالم لساني جزائري ولد في مدينة وهران سنة 1928، تخصص في دراسة اللغة العربية نال شهادة الدكتوراه بجامعة السربون، تقلد شرف التدريس بجامعة الرباط ثم بجامعة الجزائر، ربط مصيره بتطوير اللغة العربية في الجزائر والوطن العربي عموما، من خلال ترأسه للمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، وعضويته للكثير من المجامع اللغوية ومراكز البحث في الوطن العربي، كان مولعا بفكر الخليل بن أحمد (175ه) الرياضي، مهووسا بكتاب سيبويه (180ه)، وبفلسفة الجاحظ (255ه) فيقول: «إن الجهود التي بذلناها منذ أكثر من 40 سنة لفهم ما يقوله الخليل وأتباعه قد أدتنا إلى الحكم بأن أكثر ما أبدعه هؤلاء قد اختفى واستغلق فهمه على المحدثين»[1] ، هذه المدّة التي مكثها في الغوص في علوم العربية ، جعلته يرسم مسارا لتلك العلوم التي قامت آنذاك مما شكّل لديه فلسفة خاصة للمعرفة، جسّدها من خلال نقده للسانيات؛ عربية كانت أو غربية كإحدى محدثات العصر.

لعبد الرحمن الحاج صالح -رحمه الله-. كتب وأبحاث وندوات الكثيرة، أنشأها طيلة حياته، هي المرجع الوحيد لبيان فلسفته، ومن أهمها ما يلي:

- بحوث ودراسات في علوم اللسان
- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية مكون من جزأين يحتوي على عدد لا بأس به من مقالاته المتنوعة.
- النظرية الخليلة الحديثة مفاهيمها الأساسية.
- سلسلة علوم اللسان عند العرب وهي زبدة نظريته الخليلية الحديثة وخلاصة نظرته حول اللسانيات العربية كما رآها الخليل وأصحابه وتتكون من:
  - السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة.
  - منطق العرب في علوم اللسان.
  - الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية.
  - البنى النحوية العربية.

إن فلسفة العلم عند عبد الرحمن الحاج صالح لم يخصص لها مؤلفا، إنّما هي مبثوثة في كتبه من خلال تحديده للإطار العلمي للسانيات من جهة وعلوم العربية عند النحاة من جهة أخرى، ضمن نظريته "النظرية الخليلية الحديثة" وذلك في سعيه لإثبات علمية ما قام به النحويون والبلاغيون والأصوليون والمتكلمون.

2.2 . كارل ريموند بوبر Karl Raimond Popper (1902-1994):

هو عالم من علماء النفس الإدراكي وفيلسوف نمساوي المولد وإنجليزي التكوين، ولد في فيينا سنة 1902، درس الرياضيات والفيزياء وعلم النفس في جامعة فيينا، لينال شهادة دكتوراه في علم النفس الإدراكي، تقلد كرسي تدريس الفلسفة في جامعة كانتربري بنيوزيلندا (1937-1945). وفي عام 1945 أصبح مدرّساً للمنطق في كلية لندن للاقتصاد، وعمل هناك كأستاذ للمنطق والمنهج العلمي من عام 1949 حتى تقاعده في عام 1969[(2)]

قدم كارل بوبر فلسفته ونظرته للعلوم، نقدا للمناهج التجريبية السائدة آنذاك، من خلال أعماله الرائدة والتي فاقت مؤلفاته العشرون كتابا أهمها:

- The Logic of Scientific Discovery، الذي ترجمه الدكتور ماهر عبد القادر محمد علي تحت عنوان منطق الكشف العلمي
- The Open Society and Its Enemies, الذي ترجمه الدكتور السيد نفادي تحت عنوان المجتمع المفتوح وأعداؤه.
- Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge
- Realism and the Aim of Science
- The Myth of the Framework: In Defence of Science and Rationality، والذي ترجمه الدكتورة يمنى طريف الخولي تحت عنوان أسطورة الإطار- في دفاع عن العلم والعقلانية

وغيرها من الكتب التي ترجم معظمها إلى العربية، لما احتلته من مقدمة في التأصيل لنظرية المعرفة الحديثة، ففلسفة العلم عند كارل بوبر واضحة في كتبه

والترجمات الخاصة به وفق نقاط محددة كانت سمته البارزة، على العكس من الحاج صالح الذي لم يكن له هدف التأصيل للعلم بصفة عامة أكثر من التأصيل لنظريته اللسانية كما قلنا.

3. مفاهيم عامة حول نظرية المعرفة:

1.3. مفهوم العلم:

في حدّ العلم صعوبة تلقّاها العلماء مثله مثل الكثير من التحديدات التي تتداخل مع مجالات أخرى، وقد قيل إنّ العلم لا يحد لعسره، أو لأنه ضروري أو لصعوبة إدراك ذاته[3]، والعلم مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Scientia"، وتترجم في الإنجليزية إلى "Science" ، وفي الفرنسية إلى " Science "، والتي تعني حسب الأصوليين : «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل»[4]، ويعرفه بيرتراند راسل بأنه «محاولة الكشف عن طريق الملاحظة لحقائق معينة عن العالم والقوانين التي تربط هذه الحقائق بعضها ببعض للوصول إلى إمكانية التنبؤ بالأحداث المستقبلية»[5]، فالعلم إذن هو ذلك البحث عن الحقيقة وفق أسس خاصة تجعله مختلفا عن باقي المعارف.

2.3. فلسفة العلم:

طبيعة الإنسان الجهل، وفِطْرته البحث والكشف، لاكتساب معرفة تمحو جهله هذا، وبالتالي فالإنسان شغوف بالاطلاع على الكون المحيط به لاكتشاف أسراره وخباياه، هذا الكشف يعصف به سؤال مهم، هل ما اكتشفتُه هو لبّ الحقيقة أم الحقيقة غير ذلك، وإلى ماذا أحْتَكِم للإجابة على هذا السؤال حتى أجزم هذا أو ذاك، إذن؛ ففلسفة العلم التي هي قسم من الفلسفة، تُعرّف في معجم أوكسفورد بأنها: «قسم من الفلسفة يتناول جانب المعرفة»[6]، فهي تبحث في هذا الذي يسمى نظرية المعرفة Epistemology . وترى الدكتورة يمنى طرف الخولي أنّ للعلم فلسفة، تعتبرها نظرية «تضطلع بالتفكير في ذات العلم... في منهجه ومنطقه والخصائص المعرفة العلمية وشروطها وطبائع تقدمها وكيفياته وعوامله ... على الإجمال التفكير في الإبستمولوجيا- أي نظرية المعرفة العلمية- ثم العلاقات بينها وبين المتغيرات المعرفية الأخرى والعوامل الحضارية المختلفة»[7]، فواضح أن نظرية المعرفة تبحث في كل ما يجعل العلم علما.

3.3. الشك العلمي:

السؤال عبر المراحل التاريخية المتعددة؛ من اليونانية القديمة إلى الأوروبية الحديثة مرورا بالحضارة الإسلامية في أوجّها، إلى المراحل الأوروبية الوسطى، سواء كان علميا أو فلسفيا، دائما يُبْني على أساس ما يسمى بالشك، فالشك أحد أهم مبادئ الفلسفة عامة وفلسفة العلم خاصة، قديم وإن حاول بعضهم نسبته إلى "رينيه ديكارت".

فالشك «مرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصاً تاماً بحيث لا يُقبل منها إلا ما ثبت يقينه، ومن أبرز من قال به الغزالي (أبو حامد) ثم ديكارت. فعلى الباحث أن يحرر نفسه من الأفكار الخاطئة " بالشك"، وأن يتروَّى فيما يعرض له، فلا يتسرع في حكمه»[8]، وهذا قول مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

إنّ هذا الشك المنهجي المبني على دلائل عقلية وحسية هو الموصل إلى الحقيقة وهو الذي ختم به رائد هذا المنهج والمستفيض فيه فيلسوف الإسلام، الإمام الغزالي كتابه "ميزان العمل" حين قال: «الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى»[9].

4.3. مصادر المعرفة العلمية:

ذهب الدارسون في نظرية المعرفة حول مصادر المعرفة العلمية بين محسوس ومعقول، فذهبت طائفة إلى الاكتفاء بالحس كأداة وحيدة لدراسة الظواهر، وذلك من خلال التجربة، بينما جزم آخرون بأن كل المدركات الحسية هي عبارة عن أدوات عقلية يمارسها الإنسان على المادة التي هي ظاهر الشيء أمّا واقعه غير ذلك، وبالتالي فإن المصدر الوحيد للمعرفة الذي يعطي الحقيقة هو العقل الذي يجرد الماديات ويعطيها رموزا وألفاظا كما يشاء هذا العقل، وهما رأيان متناقضان يصرع أحدهما الآخر، يسمى الأول بالتجريبية والثاني بالعقلانية وفي كليهما تطرف كبير ، فمثلا كارل بيرسون (K.Pearson) جسد في كتابه "أركان العلم" الروح العلمية التجريبية المتطرفة في رفضه

للميتافيزيقا، ساحبا ذلك حتى على الشعر ما لم يكن يقوم على أسس علمية[10]، ولكن العلم الحديث يرى أنّ مصادر المعرفة مهما كانت فيكفي أن تكون طريقا لإثبات الحقائق، فحتى إن تنوعت فهي لا تتعارض سواء كانا حسا أو عقلا أو حدسا أو نصا دينيا، فهي تتكاثف لإثبات الحقيقة لا غير.

5.3. الموضوعية:

الموضوعية نقيض الذاتية، وهي ذلك الجانب من العلم الذي يعطيه صبغة تبعده عن الأحكام العامة فالموضوعية في البحث العلمي هي :« أن تكون خطوات البحث العلمي كافة قد تم تنفيذها بشكل موضوعي وليس شخصي متحيز»[11]، فالأحكام الشخصية والانفعالية والمسبقة حول الظاهرة الإنسانية هي التي تنقل المعرفة من الموضوعية نحو اللا موضوعية فتخرج الدراسة والنظرية من حدود العلم.

غير أنّ المحدّد لهذه الموضوعية يختلف من نظرة إلى أخرى ومن قطب إلى آخر فالتجريبيون مثلا يرون أن الحواس هي الضامن الوحيد للموضوعية لما تملكه من صدق في المشاهدة، ولذلك وجب إبعادها عن الانفعالات والعواطف التي تحيد الحواس عن وظائفها، أما العقلانيون فيرون أنّ وضع وسائل عقلية دقيقة هي المحك لموضوعية العلم.

4. فلسفة العلم عند الحاج صالح وكارل بوبر:

العلم عند عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر هو الأساس لاكتشاف الحقيقة، والمنهج العلمي هو وحده الذي يعطي دراسة سليمة للظواهر الكونية مادية كانت أو ميتافيزيقية، فالعلم عند عبد الرحمن الحاج صالح هو البحث الموضوعي في الظواهر المطردة للوصول إلى قانون عام تجري وفقه هاته الظواهر، أما كارل بوبر فيجعل العلم أو المعرفة علمية هي التي « تتكون من الأفكار العلمية والفلسفية ومخزونات الكتب والعقول الإلكترونية، أي كل النظريات المصاغة لغويا، ... موضوعية لدرجة الاستقلال التام عن أي شخص يعرف أو يعتقد، فهي معرفة بغير ذات عارفة»[12]، أي هي ما تم التوصل إليه، بعيدا عن الذات العارفة مع إمكانية صياغتها لغويا.

أول نقاط التقاء الرجلين هو **مبدأ الشك في العلوم**، والشك مبدأ فلسفي قديم، تناوله الفلاسفة منذ بدايات الكلام عن المعرفة، حتى وضع أسسه في العصر الحديث رينيه ديكارت الذي اعتبره مسار الوصول إلى اليقين، فعبارته الشهيرة "أنا أفكر أنا موجود"، كرست هيمنة الأنا وجعلتها الطاردة للوهم الجالبة للحقيقة، فبزغ عصر جديد للعقل بعد أن أغدقت عليه الحضارات السابقة موائد الجمود والتقليد والخضوع للكنيسة في أوروبا.

هذا المبدأ جعله كارل بوبر ركيزة أساسية للفصل بين العلم واللّاعلم، وأحد الأسس الصارمة في القول بصحة النظرية وعلميتها، فصحة النظرية عند كارل بوبر هو خضوعها لمعيار القابلية للتكذيب أو التفنيد عن طريق احتكامها للتجربة بغض النظر عن كيف نشأت أو كيف استنتجت قوانينها فـ « صمودها أمام التكذيب هو الذي يعطيها قيمتها العلمية»[13]، وهو المبدأ الذي احتكم له عبد الرحمن الحاج صالح في قبول النظريات اللسانية فعنده «النظريات الصحيحة هي التي تتكيّف مع مرور الزمن وبمقتضى التوسع الاكتشافي المتواصل، وهي لا تبطل بذلك بطلانا كاملا، إنّما شيئا فشيئا»[14]، فالنظريات عند الحاج صالح ليست صحيحة صحة مطلقة، إنّما يجب أن تكون خاضعة للنقد العلمي الدائم قصد تصحيحها، ومن هذا يقع الباحث في الوهم، ذلك من خلال اعتباره ما تبناه صحيحا دون تمحيص أو مراجعة وتقديمٍ للفروض والنقود على هاته النظريات.

فمبدأ الشك عند الحاج صالح هو من أهم المبادئ التي تحقِّق العلم، إذ أن اعتماد وركون الباحث إلى حواسه والاعتقاد بيقينية نتائجها هو من أكبر الأخطاء في المنهج العلمي فيقول: «والواقع أنّ الاستئناس الذي تسببه العادة هو من أكبر عوائق التي تعترض المعرفة العلمية»[15].

وهو مبدأ ارتكز عليه العلماء القدماء خاصة –المعتزلة- وجعلوه المؤدي إلى اليقين من خلال نزعة علمية « تجعل من "الشك المنهجي" المبدأ الأساسي في كل محاولة علمية خاصة بإثبات الحقيقة»[16].

بل يجعل عبد الرحمن الحاج صالح الأصالة في العلم التي هي مقابل التقليد مرتبطة بهذا المبدأ، لا بمبدأ التاريخية والأسبقية، فالأصالة عنده سواء جاءت من تراثنا أو من الغرب «تكمن في عدم الاطمئنان مقدماً وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان ويجبره على تقبل أقوال غيره»[17].

أما **مصادر المعرفة في نقطة التقاء الرجلين الثانية**، ومصادرة المعرفة العلمية مما اخْتُلِف فيه كثيرا، وصل الاختلاف فيه إلى حدّ التطرف في قبول أحدها عمّا سواها كما ذكرناه سابقا. غير أنّ الرجلين يلتقيان في تبني **التجربة والعقل** معاً في حصول المعرفة العلمية، بل يتفقان كثيرا في الإنكار على القائلين بضرورة اعتماد الملاحظة كسبيل وحيد للمعرفة العلمية وإلغاء نشاط العقل. فكارل بوبر حسب الدكتورة يمنى طرف الخولي «ليس من قبيل الفلاسفة الذين بهرهم هذا العلم فذابوا معه وراحوا ينكرون أدنى فعالية لشتى ضروب الأنشطة العقلية، بل إنه من خلال العلم ذاته ينظر بعين الاعتبار لسائر تلك الضروب، وعلى رأسها جميعا الميتافيزيقا»[18]، فتأثير كارل بوبر مس الجانبين ليشمل كلاً من العلوم التجريبية والعلوم البحتة حسب رأي الدكتورة.

ويقول هو في كتابه أسطورة الإطار: «استخدمت مصطلح "نظرية" بمغزى واسع جدا، مغزى يجعل هذا المصطلح مستوعبا للأساطير وكل أنواع التوقعات والتخمينات، لم أستخدمه بمغزى نظرية مثبتة راسخة أو مؤسسة، لأنني لا أعتقد أنّ مثل هذه النظرية توجد».[19]

فكار بوبر ينتقد اقتصار التجريبيين على الملاحظة والاستقراء من خلال هجومه على مذهب رائد المنهج فرانسيس بيكون (Francis Bacon) الذي جعل الملاحظة هي الطريق الوحيد للحقيقة، وذلك من خلال استعمال حواسنا في ملاحظة الأشياء، وتسجيلها لأن الحواس لا تخدع، فرأى كارل بوبر أنّ بيكون ومن سار بطريقه ما زادوا عن محاولتهم إحلال اسم "الطبيعة" محل اسم "الرب" لكنهم تركوا كل شيء آخر تقريبا بلا تغير[20].

ولذلك يجعل كارل بوبر لكل نظرية محتوى معرفي مشكل من محتوى تجريبي Informative content وهو العبارات الإخبارية التي تنتج عن النظرية، وإن لم تحدث

كذبت النظرية أي مجموعة الاحتمالات الكاذبة؛ ومحتوى منطقي Logical content يحدده قابلية اشتقاق عبارة علمية من أخرى[21].

وفي هذا يذهب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بتبنيه لما سماه **الحس والنظر** في حصول المعرفة العلمية، فرغم أنّ النزعتين متعاكستان إلا أنّ الجمع بينهما هو الوسيلة السليمة للحصول على نظرية علمية.

فهي طرائق للمشاهدة وأخرى للصياغة العقلية أي أنّ مصادر العلم تكمن في: «طرائق المشاهدة وحصر المعطيات وتصنيفها وإحصائها وتصحيحها، أو في طرائق التحليل للمعطيات واستنباط الأصول وإثبات العلاقات بين الوحدات اللغوية»[22]، ويجعل ذلك مما يدخل في إبستمولوجية العلوم، حيث الأول والذي هو الحس يمثل الملاحظة والاستنتاج التي يتبعه المصدر الثاني وهو النظر، الذي هو إمكانية الصياغة الرياضة عن طريق استنباط البنى.

ويذهب الحاج صالح مذهب كارل بوبر في نقده للقائلين بكفاية التجربة لحصول العلم وفي هذا نقد لاذع للمذهب الإيجابي الذي أنشأه أوغست كونت (Auguste Comte)، وهو المذهب الذي يرى الملاحظة والخبرة السبيل الأوحد للمعرفة، أي «المذهب الذي يدعو إلى البحث فيما هو مشاهد محسوس غير الميتافيزيقي، ولا النظري البحت وهذا هو عندهم البحث الإيجابي»[23].

فللحس دور كبير في بناء النظرية كما للنظر الدور الأهم لحيازته على الوسائل العقلية التي تعمل في هذا المحسوس المشاهد، والجمع بينهما في إثبات الحقائق هو سمة العلم وفي ذلك يقول ابن جني(392ه): «وإذا حَكَّمنا بديهة العقل وترافعنا إلى الطبيعة والحس فقد وفينا الصنعة حقها ربأنا بها أفرع مشارفها ».[24]

الموضوعية في العلم هي الأخرى من نقاط التقاء عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر داخل حيّز فلسفة العلم، ونظرتهما لهاته الموضوعية متقاربة إلى حدّ بعيد. فكارل بوبر يذهب إلى أن هذه الموضوعية مرتبط بإمكانية نقد النظرية وتصحيحها من قبل الكثير من الناس، فيقول: «إنّ موضوعية القضايا العلمية تكمن في قابلية تمحيصها

من قبل أناس عديدين»[25]، أي يمكن اعتبار القضية – س - موضوعية في العلم إذا أمكن الفرد – أ- و الفرد –ب- والفرد - ج- من تعديلها، أما إذا اعتقد –أ- و-ب- و -ج- عدم إمكانية تعديل هاته القضية تبعا للاعتقاد الجازم بعدم خطئها، فيدخل في الذاتية التي هي نقيض الموضوعية، إذن كلما زادت احتمالات خطأ القضية العلمية والنظرية، كلما زادت الموضوعية المتعلقة بالباحث. وبالتالي فعبارات:

"أ" يعرف "س"

"ب" يعتقد صحة "س"

"ج" يفهم "س"

لا تعد قضايا علمية عند بوبر وعلى العكس من ذلك ف:

"أ" يحاول أن يعرف "س"،

"ب" يعتقد إمكانية صحة "س"

"ج" يحاول فهم "س"

قضايا علمية عنده [26]،

وبالتالي فيكون العلم عنده موضوعيا، إذا كان قابلا للاختبار من طرف أكثر من شخص في نفس الظروف، وهو الذي يحقق استقلال العلم عن الذات الإنسانية حيث يقول: «المعرفة تكون موضوعية إذا وجدت باستقلال تام عن الحالة الذاتية لعقل الفرد أو عقول الأفراد»[27].

هذه الرؤية للموضوعية هي أيضا مثيلتها عند عبد الرحمن الحاج صالح حيث يرى أنّ الذاتية التي هي نقيض الموضوعية في العلم هي مما يهدم العلم ويهدّ أسسه « فالخطر الذي يهدد المعرفة الصحيحة ناتج عن نشاط الذوات إذ ربما لا تميز بين ما هو راجع لها -أي نشاطها الخاص بها- وبين ما هو راجع إلى موضوع نشاطها في نفسه أي الأعيان في أنفسها»[28]، وبالتالي جعل للموضوعية معايير أو مقاييس نحتكم إليها وهي تكرار المشاهدات للظاهرة؛ فكلما سرت الظواهر في مجارٍ واحدة كانت أكثر موضوعية

فإذا كانت –أ- تؤدي إلى –ب- ، وفي نفس الظروف المكانية والزمانية دائما ما يؤدي ب أ- لحدوث –ب- يكون الباحث ودراسته أكثر موضوعية، يقول عبد الرحمن الحاج صالح « إنّ محصول المشاهدات لا يبلغ الموضوعية الكاملة إلا إذا تمكن كل الباحثين من تصحيحها في أي مكان وأي زمان كان»، فقابلية التصحيح للنظريات هو من أسس الموضوعية عند الحاج صالح مثله مثل كارل بوبر، وإنما يحصل عند عبد الرحمن الحاج صالح عن طريق الإجماع وهو اتفاق جماعة على جريان ظاهرة على نحو معين كاتفاقهم على رفع الفاعل نتيجة المشاهدة الواسعة، أو عن طريق التواتر في الأخبار والروايات كما ذكر.

4. خاتمة:

تناولنا في بحثنا هذا ذلك الفضاء الفلسفي القائم على رصّ أركان العلم وبناء أسسه، وذلك من خلال رصد بعض نقاط الالتقاء بين علمين هما عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر، ومما وضعناه كنتائج لهذه الوريقات البحثية ما يلي:

- يعد عبد الرحمن الحاج صالح وكارل بوبر عَالِمَين اعتمدا فلسفة العلم في بناء نظريتهما، فأصّلا لهذه الفلسفة من خلال عدّة مؤلفات.
- فلسفة العلم هي قسم من الفلسفة تتناول نظرية المعرفة في جانبها العلمي، هي المحدّد للعلمية واللاّ علمية وسط المعارف الإنسانية المختلفة.
- للعلم عدة مبادئ يحدّ حدودها فلسفة العلم، أهمها الشك العلمي ومصادر المعرفة، أمّا الشك فهو مبدأ يجعل الظاهرة الإنسانية قابلة للدراسة والبحث لما يعطيه من أسئلة وفروض، أمّا مصادر المعرفة فهي التي تعالج هاته الأسئلة والفروض في محاولة الوصول إلى الحقيقة مهما اختلفت هذه المصادر.
- يتفق الحاج صالح عبد الرحمن وكارل بوبر في اعتبار مبدأ الشك كمحدد لصحة النظرية من عدمه، فالأول يخضع النظرية للنقد العلمي الدائم قصد تصحيحها، والثاني يخضعها لمعيار القابلية للتكذيب أو التفنيد بالاعتماد على التجربة.

- يتفق الحاج صالح وكارل بوبر في اعتماد أكثر من مصدر للمعرفة، فالذي يسميه كارل بوبر التجربة والعقل يسميه الحاج صالح الحس والنظر. والأول يرى أنّ مصدر المعرفة لا يهم ما دامت هاته المعرفة خاضعة لمعيار التكذيب، أما الثاني فيرى أنّ الحس والنظر وإن كانا نزعتين متناقضتين إلا أنّ الجمع بينهما هو أساس نجاح النظرية من خلال المشاهدة الحسية للظاهرة الإنسانية، والصياغة الرياضية لهاته الظاهرة.
- يتفق الحاج صالح وكارل بوبر في كون اعتماد الموضوعية وفصل العلم عن الذاتية من أهم أسس العلم، والمحدد والكاشف لهاته الموضوعية هو التكرارات من جهة والقابلية للتصحيح من جهة أخرى.
- يرجع هذا الالتقاء بين الرجلين إلى خاصية العلم التي تفرض أسسا واحدة مهما اختلف التخصص ومهما اختلت حدود الظاهرة المدروسة، وهي سمة وجب حرص الباحثين وبذل الجهد للإلمام بفلسفة العلم، قصد نقد النظريات وإثبات صحتها وتطويرها، وهو الذي تحتاجه تخصص اللغة واللسانيات في جامعاتنا، كون فلسفة العلم نقطة التقاء كل العلوم.

*** *** ***

5. الهوامش:

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ج2، ص 53.

2- Karl Popper British philosopher Encyclopedia Britannica ,21/03/2022: 11h17 https://www.britannica.com/ .

3- محمود بن عبد الرحمن أبو الثناء الأصبهاني، كتاب بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، دار المدني، ط1، جدة (السعودية)، 1986، ص 40 .

4- محمد مصطفى الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق- سوريا، 2006، ج1، ص 16 .

5 -Bustami Mohamed Khir(2000):The Qur'an and Science: The Debate on the Validity of Scientific Interpretations, Journal of Qur'anic Studies , Vol. 2, No. 2, p20.

6- the Oxford Advanced Learner's Dictionary https://www.oxfordlearnersdictionaries.com

7- يمنى طرف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط2، القاهرة- مصر، 2014، ص 14.

8- خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت المتعلقة بالسنة النبوية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة- السعودية، ص 35.

9- أبو حامد الغزالي، منازل العمل، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، ط1، مصر، 1964، ص409.

10- ينظر: يمنى طرف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 29.

11- محمد عبيدات ومحمد أبو نصار، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، 1999، ص8.

12- يمنى طرف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ... منطق العلم، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر،1980، ص 84.

13- عبدالله المطيري، كارل بوبر والشك: المعرفة الصحيحة الآن وهنا فقط، جريدة الوطن، السعودية، بتاريخ 2011/09/14، تاريخ الاطلاع 2022/04/10، https://www.alwatan.com.sa/article/7365

14- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 15

15- المرجع نفسه، ص10.

16- المرجع نفسه ، ص 95.

17- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ج1، ص8.

18- يمنى طرف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ... منطق العلم، مرجع سابق، ص 15.

19- كارل بوبر، أسطورة الإطار في الدفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة: يمنى طرف الخولي، مطابع السياسة، الكويت، 2001، ص 188.

20- ينظر: المرجع نفسه، ص 112.

21- يمنى طرف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ... منطق العلم، مرجع سابق، ص 328.

22- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 8.

23- المرجع نفسه، ص 9.

24-أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، القاهرة، مصر، ج1، ص54.

25- كارل بوبر، منطق البحث العلمي، ترجمة محمد البغدادي، المنظمة العربية للترجمة، ط 10، بيروت- لبنان، ص79.

26- ينظر: يمنى طرف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم ... منطق العلم، مرجع سابق، ص 86.

27- كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص36.

28- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 24.